# التنشئة الاجتماعية للتفكير السياسي

محمد قاسم عبد الله(*)

## مقدمة

إنّ المهمة الأولى في المدخل لدراسة أي موضوع إنّما تكون في تحديده بوضوح وتحديد مفاهيمه، وهذا ما يساعد في وضع الإفتراضات الأساسيّة له. من جهة أخرى، لا يوجد علم إلاّ وله صلة بغيره من العلوم الأخرى يفيد ويستفيد منها، يؤثّر ويتأثّر بها، وينطبق هذا على علم السياسة أيضاً، فإذا انتقلنا إلى موضوع التنشئة السياسية ونمو السلوك السياسي عند الفرد خلال مراحل ارتقائه ونموه، فإنّنا نجد أنفسنا في موضوع يربط السياسة بعلمي النفس والاجتماع.

وإذا كان موضوع التنشئة الاجتماعية، أحد أهم موضوعات علم النفس الاجتماعي، فإنّ موضوع التنشئة السياسية هو الموضوع الرئيس الذي يربط بين السياسة وعلم النفس الاجتماعي.

تنبع أهميّة هذه الدراسة من كونها تبحث في عملية التنشئة الاجتماعية السياسية باعتبارها العملية الأساسية في غرس القيم والاتجاهات السياسية في الفرد خلال مراحل نموه، وما تضمّه من ولاء الفرد للدولة دون أن يظلّ حبيساً لولاءاته الفرعية الضيقة سواء المتعلّقة بإقليم أو جماعة بعينها، إنها تعمل على تشكيل السلوك السياسي الذي ينشده النظام السياسي في الأفراد.

وقبل البدء في الموضوع، لا بدّ من تحديد المفاهيم الأساسية في دراستنا وتعريفها بدقة حتى نضع الافتراضات العلميّة والنتائج التي توصلت إليها أحدث الدراسات في العلوم النفسية والاجتماعية حول هذا الموضوع.

(*) استاذ مساعد الصّحة النفسية ووكيل كلية التربية بجامعة حلب - عضو الجمعية الأوروبية لعلم نفس الشخصية.

## I ـ المفاهيم الأساسية في الدراسة

**مفهوم «السياسة»:**

يعرف مفهوم «السياسة» «Politics» بأنّه طريقة يمكننا من خلالها أن نفهم وننظم شؤوننا الاجتماعية، والوسائل التي يستطيع من خلالها الأفراد والجماعات السيطرة على الوضع أكثر من الآخرين، إنّ السياسة تعني: «الممارسة العمليّة للسلوك السياسي» فهي التحوّل من الدراسة العلمية النظرية التي تقوم على المنطق والتحليل إلى الواقع السياسي بما يحتويه من تعقيدات وتشابك في المصالح، وهذا كلّه على خلاف مفهوم علم السياسة أو «العلوم السياسية» «Political Sciences» التي تعني الأسلوب العلمي في تحليل الظواهر السياسية ودراستها بالمنهج العلمي الرصين الذي يتبع التحليل والتدقيق، وقد حقّقت العلوم السياسية نتائج مذهلة سواء في مناهج البحث التي تتبعها أم في تخصصاتها والنتائج التي توصلت إليها، وهكذا فإننا نلخص الفرق بين مفهومي «السياسة» و «علم السياسة» بما يلي:

السياسة هي الممارسة العملية للعمل السياسي أو كما يسمّيه بعض العلماء «النشاط السياسي» Political activity، إنّها تصرّف الأفراد بوحي من أفكارهم السياسية واتجاهاتهم سواء كان تصرفهم شفوياً (حديثاً) أم مادياً (عملياً)، أمّا علم السياسة أو العلوم السياسية فهي الدراسة العلمية المنهجية للظواهر والقضايا السياسية بهدف فهمها وتحليلها والتنبوء بها أيضاً، أي معرفة ما ستؤول إليه في المستقبل، حتى صارت تدخل ضمن علوم المستقبل Futurology كاستشراف مستقبل النظام الدولي، ومستقبل الطاقة، ومستقبل الصراع... (مصالحة، ترجمة 1991).

إنّ مفهوم التنشئة السياسية، هو أحد أشكال التنشئة الاجتماعية، والتنشئة الاجتماعية Socialization هي عملية تعلّم وتعليم، وتعني:

«إكساب الفرد ـ سواء كان طفلاً أم مراهقاً أم راشداً ـ سلوكاً ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معيّنة تمكّنه من مسايرة جماعته والتوافق معها، فهي التي تكسبه الطابع الاجتماعي وتيسّر له الاندماج الاجتماعي».

وهكذا فإنّ عملية التنشئة الاجتماعية عموماً هي عملية:

- تشكيل السلوك الاجتماعي للفرد.
- استخدام ثقافة المجتمع في بناء شخصية الفرد.
- تحويل الكائن البيولوجي إلى كائن اجتماعي.

فالتنشئة الاجتماعية إذاً هي تشكيل السلوك الاجتماعي عند الفرد (سواء كان سلوكاً أخلاقياً، أم سياسياً، أما ثقافياً)، (زهران 1982).

**ومفهوم التنشئة الاجتماعية السياسية**، ونطلقه اختصاراً تحت اسم «التنشئة

السياسية» «Political Socialization» هي أحد أشكال التنشئة الاجتماعية التي تتركز على تشكيل السلوك السياسي في الفرد خلال مراحل نموه المختلفة، ونُعرّفها بأنها:

«عملية إكساب الفرد ـ سواء كان طفلاً أم راشداً أم مراهقاً ـ سلوكاً ومعايير وقيماً واتجاهات سياسية مناسبة لأدوار اجتماعية تمكنه من مسايرة جماعته وتكسبه الطابع الاجتماعي السياسي».

فالتنشئة السياسية بهذا المعنى تعني:

ـ تشكيل السلوك السياسي للفرد «في أيّ مرحلة من مراحل نموه».

ـ استدخال الثقافة السياسيّة والعقائديّة للمجتمع في شخصيّة الفرد.

ـ إنّها تحويل الكائن البيولوجي إلى كائن سياسي عن طريق مؤسسات المجتمع المختلفة (الأسرة، المدرسة، الجامعة، المنظمات، الشعبية، وسائل الإعلام...).

يتبين لنا من هذه التعريفات أنّ التنشئة السياسية هي:

«تعلّم الفرد وتعليمه القيم والاتجاهات الاجتماعية السياسية عن طريق المؤسسات الاجتماعية التي تعمل على اكتساب الفرد هذه القيم والمعايير والاتجاهات خلال مراحل نموه المختلفة، بحيث يحملها معه حين يتم تجنيده في الأدوار الاجتماعية وحتى يمارسها عملياً حين قيامه بدوره الاجتماعي».

**مفهوم «المراهقة»:**

تُعتبر المراهقة إحدى مراحل النمو التي يدرسها علم النفس النمائي. ومراحل النمو التي يمرّ بها الفرد تقسم إلى ما يلي:

1 ـ مرحلة الطفولة Childhood وتضمّ:

ـ الطفولة الأولى (المهد) وتمتدّ منذ الولادة حتى الثانية تقريباً.

ـ الطفولة الثانية (المتوسطة) وتمتدّ من الثانية حتى نهاية الخامسة.

ـ الطفولة الثالثة (الأخيرة) وتمتدّ من السادسة حتى نهاية الثانية عشرة.

2 ـ مرحلة المراهقة Adolescence وتضمّ:

ـ المراهقة الأولى (البلوغ) وتمتدّ من الثالثة عشرة حتى الخامسة عشرة.

ـ المراهقة المتوسطة وتمتدّ من الخامسة عشرة حتى نهاية السادسة عشرة.

ـ المراهقة المتأخرة وتشمل السابعة عشرة والثامنة عشرة أو العشرين.

3 ـ مرحلة الرشد Adulthood وتضمّ:

ـ الرشد الأولى من (20) حتى (35) من العمر.

ـ الرشد الثانية من (35) حتى (50) من العمر.

- الرشد المتأخرة من (50) حتى (60) من العمر تقريباً.

4 - مرحلة الشيخوخة وتضمّ:

- الشيخوخة المبكرة وتمتد من 60 سنة حتى 75 سنة.

- الهرم وتمتد من سن 75 حتى نهاية العمر.

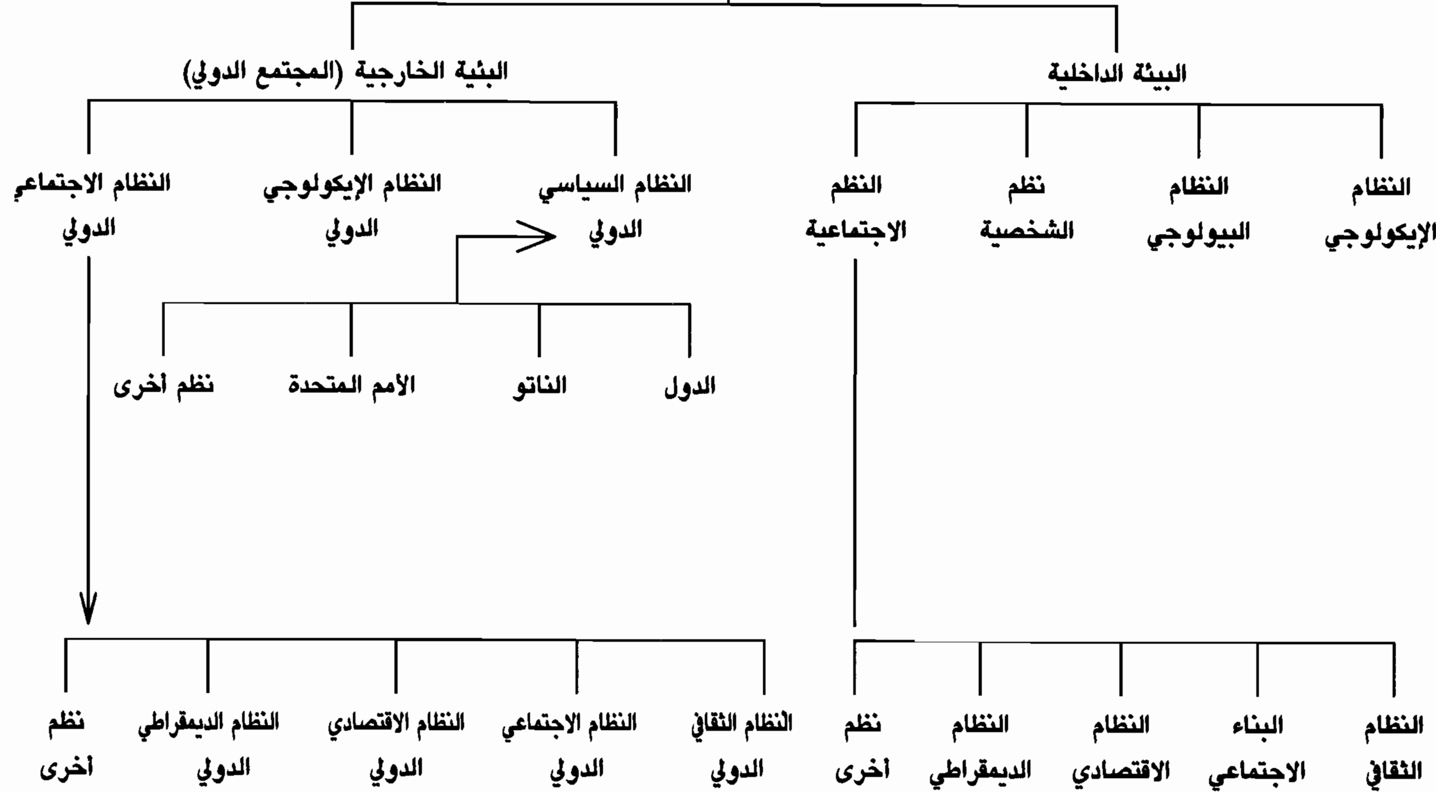
إنّ مرحلة المراهقة هي الجسر الذي يصل الطفولة بالرشد، فهي التي تمتد حتى تصل بالفرد إلى إكتمال النضج في سنّ الرشد حوالى العشرين من العمر، ففيها يبلغ الفرد كمال نضجه «الجسمي والعقلي والانفعالي.. والاجتماعي أيضاً».

فالمراهقة التي تبدأ بالبلوغ وتنتهي بالرشد، هي عمليّة حيويّة في بدئها ولكنّها اجتماعية في نهايتها، فمرحلة المراهقة هي المرحلة التي تجعل الطفل إنساناً اجتماعياً وكائناً راشداً ومواطناً يخضع خضوعاً مباشراً لنظم المجتمع ومعاييره، فهي مرحلة مرنة تصطبغ بشعائر الجماعة التي تنشأ في إطارها.

من هنا تُعتبر المراهقة المرحلة الحاسمة في تكوين السلوك الاجتماعي للفرد (سواء كان سلوكاً سياسياً أم ثقافياً) إنها مرحلة تكوين الفرد السياسي، وتكوين الاتجاهات والمعايير والقيم السياسية التي نريدها في مواطنينا، خصوصاً وإنها مرحلة اكتمال النضج العقلي والانفعالي والاجتماعي والجسمي للفرد مع نهايتها وبداية مرحلة الرشد، حتى يمارس الفرد دوره الاجتماعي المطلوب.

## II - تحليل التنشئة السياسية

إنّ التعريفات السابقة لمفهوم «التنشئة السياسية» تظهر الارتباط الوثيق بين التنشئة السياسية ومفهوم السياسة من جهة، وبين التنشئة السياسية والثقافية السياسية، من جهة ثانية. وتتداخل هذه الظواهر والمفاهيم المزدوجة ضمن بيئة النظام السياسي، وهي البيئة التي تدور في فلكها المدخلات كافة التي تتدفّق إلى الحياة السياسية وتحدّد طبيعة التفاعلات السياسية. ولا شكّ أنّ الثقافة والقيم تُعدّ جزءاً لا يتجزأ من النظام الاجتماعي الداخلي والنظام الاجتماعي الدولي على السواء، وقد أوضح «ديفيد إيستون» ذلك في دراسته للتحليل السياسي كما يلي:


مكونات البيئة الشاملة للنظام السياسي
البيئة الداخلية
البئية الخارجية (المجتمع الدولي)
النظام الإيكولوجي
النظام البيولوجي
نظم الشخصية
النظم الاجتماعية
النظام السياسي الدولي
النظام الإيكولوجي الدولي
النظام الاجتماعي الدولي
الدول
الناتو
الأمم المتحدة
نظم أخرى
النظام الثقافي
البناء الاجتماعي
النظام الاقتصادي
النظام الديمقراطي
نظم أخرى
النظام الثقافي الدولي
النظام الاجتماعي الدولي
النظام الاقتصادي الدولي
النظام الديمقراطي الدولي
نظم أخرى

فالتنشئة السياسية تتضمن 3 عمليات هي:

1 ـ عملية تلقين وإكساب القيم الثقافية السياسية، وغرس الاتجاهات السياسية في نفوس المواطنين عموماً.

2 ـ عملية تغيير وتبديل القيم السياسية «المرفوضة» وتعديل الاتجاهات والسلوك حتى تتلاءم مع أهداف النظام السياسي.

3 ـ عملية تردّ على القيم السائدة بغية التوصل إلى قيم جديدة، وقد يصل ذلك إلى حدّ «الثورة» كما جرى في الصين أثناء الثورة الثقافية التي لم تقتصر أهدافها على التغيير والتبديل بل تجاوزتها إلى التمرد الكامل على القيم السائدة.

وتلعب التنشئة السياسية دوراً مهماً في تحديد السلوك السياسي Political behavior للمواطن من حيث المشاركة (أو عدمها) في الحياة السياسية،ومن حيث تنمية اتجاهات التأييد أو الرفض بالاضافة إلى أنّ انخراط المواطن في الحياة السياسية يضيف بدوره إلى عملية التنشئة السياسية واكتساب قيم ومهارات سياسية جديدة (المنوفي 1979).

فإذا كانت التنشئة السياسية تتمّ من خلال المؤسسات الاجتماعية المختلفة (الأسرة، المدرسة، الجامعة، النادي، المنظمات، وسائل الإعلام...)، فإن التربية هي الأداة الرئيسية التي تعمل على إكساب الأفراد الاتجاهات والقيم السياسية المطلوبة، ويبدو بشكل خاص في المدرسة لأنها هي المؤسسة التي يقضي فيها الفرد، معظم وقته، كما أنها المؤسسة التالية بعد الأسرة في أداء وظيفتها. وسوف نتعرض لدور هذه المؤسسة الاجتماعية في تنشئة الفرد سياسياً في فقرة لاحقة. (حجاج 1982، مصالحة 1991).

## III ـ محاور التنشئة السياسية

هناك عدة محاور، تدور حولها عملية التنشئة السياسية، غايتها غرس قيمة الانتماء والولاء لتعليمات النظام السياسي، وهذه أهم المحاور.

**1 ـ الهويّة: Identity**، أو الانتماء القومي، أي الشعور بالارتباط بالجماعة السياسية وتمثُّل أهدافها والفخر بحقيقة الفرد جزء منها، والإشارة الدائمة إلى هذا الانتماء خصوصاً في لحظات الخطر. وقد ارتبطت الهويّة القومية بنشأة الجماعة السياسية داخل الدولة القوميّة، وحركات التحرر الوطني تزكي هذا الإحساس بالرغم من عدم تمتعها بدولة قومية مستقلة كما الحال بالنسبة إلى منظمة «سوابر» وتأكيدها على الهوية القومية لكل سكان ناميبيا، وكذلك منظمة التحرير الفلسطينية وسعيها للحفاظ على الهوية الفلسطينية.

إنّ الفرد يتعلم الانتماء منذ الصغر حيث ينتمي للأسرة والقرية والمدينة والإقليم والدولة والوطن.

2 ـ **مفهوم الوطن/الولاء Loyalty**، فعملية التنشئة السياسية تقوم بمختلف أدواتها ومؤسّساتها بالتركيز على مفهوم الوطن بدءاً من القرية والمدينة وانتهاء بالوطن القومي الكبير، فتحاول غرس الولاء في نفوس الأفراد، وتزداد أهمية ذلك الولاء في أوقات السلم والحرب معاً، وإن كانت تزداد بنسبة أكبر أوقات الأزمات والشدائد. لا شكّ أن وحدة الولاء للوطن تُعدّ بذاتها وسيلة صهر لمختلف الفئات والقوى الاجتماعية داخل النظام السياسي، فالولاء للوطن أعلى وأهم الولاءات الأخرى، ويتمّ ذلك عن طريق غرس حب الوطن والولاء له بإظهار الجوانب الإيجابية من تاريخه وحاضره، والتركيز على البطولات القومية لأبنائه، وهذا ما يخلق روح التفاني والتضحية من أجل أمنه وسلامته.

3 ـ **السلطة Authority**، إذا أردنا أن نجيب عن السؤال التالي:

ما هي مقومات السلطة السياسية في المجتمع؟ فإننا نجد أنّ عملية التنشئة السياسية هي المسؤولة في الإجابة عنه، فمفهوم السلطة يختلف من مجتمع لآخر ومن تقاليد سياسية إلى أخرى، فهناك المفهوم التقليدي للسلطة الذي تستمد فيه شرعيتها من التزام الأفراد بالأعراف والتقاليد، وهناك المفهوم المسمى بالسلطة الكارزمية، ثم السلطة الشرعية، ومهما كان نمط السلطة السائد فإن شرعيتها تُستمد من قبول الأفراد لها. وقد تركّز التنشئة السياسية على مفهوم السلطة الدينية والتي تستمد شرعيتها من تمسكها بالدين ودفاعاً عن المقدسات والتزامها بالشعائر، وفي هذه الحالة لا تصير عملية التنشئة ذات فاعلية تذكر إلاّ إذا اتفق سلوك السلطة السياسية مع ما تدعو إليه من التزامات دينية وأخلاقية.

4 ـ **الثقة في النظام السياسي Confidence**، فالعلاقة بين المواطن والسلطة تتحدّد طبعاً بالعقد الاجتماعي المبرم بينهما، وهذا العقد ذو طبيعية معنوية، مفاده أنّ على المواطن أنّ ينفذ إرادة السلطة السياسية ويثق في قدرتها على تحقيق مصالحه، مقابل قيام السلطة السياسية بحماية مصالحه ومصالح غيره من المواطنين. إنّ ثقة المواطن في النظام السياسي، وثقة السلطة السياسية بالمواطن تشكّلان جوهر الالتزامات السياسية.

5 ـ **القيم السياسية العليا Political valves**، بالإضافة إلى غرس مفاهيم سياسية تحدّد علاقة السلطة والمواطن، يتمّ زرع بعض القيم السياسية العليا التي تشكّل منظومة معتقدات، فالتنشئة السياسية تلعب دوراً مهماً في تحديد أولوية القيم العليا، ففي النظم الرأسمالية والليبرالية يتمّ إعلاء قيمة «الحرية» على ما عداها من القيم، وفي النظم الإشتراكية تعتبر قيمة «المساواة» مصدر كل القيم الأخرى وهكذا...

6 ـ **الأداء Performance**، أي مدى قيام النظام السياسي بتحقيق الأهداف التي أعلن أمام مواطنيه الالتزام بها، ويرتبط بذلك القدرة على تعبئة وتخصيص الموارد الاقتصادية وشحذ طاقات المواطنين من أجل المشاركة في خطط التنمية.

وتتوقف قدرة النظام السياسي على الأداء على مدى تمسكه بقواعد الكفاءات دون النظر إلى اعتبارات أخرى كالقرابة والعلاقات الشخصية. ويتعلّق الأداء بغرس قيم العمل والإخلاص والتضحية من أجل تحقيق الأهداف القومية العليا في نفوس المواطنين.

7 ـ **الإخلاص والتفاني والغيرية أو الإيثار Altruism**. فالتنشئة السياسية تلعب دوراً مهماً في خلق قيم الإيثار والتضحية في خدمة الوطن الأم وما يرتبط به من مصالح، وغرس قيم الإخلاص لكل من الأمة والدولة على السواء ممثلين في النظام السياسي، وهذا ما يدفع إلى الإقدام للقيام بالأعمال التطوعية الاختيارية وخصوصاً في لحظات الشدائد والكوارث.

إن هذه المحاور السبعة للتنشئة السياسية والمتعلّقة بالقيم أو بالاتجاهات والسلوك، تمثّل كلاً متجانساً لعملية التنشئة السياسية، وكل نظام سياسي يحاول العمل على تحقيقها من خلال برامج وخطط التربية ووسائل الإعلام والاتصال والثقافة (المشاط 1992، المصالحة 1991).

وسنبحث الآن في الأدوات والمؤسسات التربوية في التنشئة السياسية.

## IV ـ التنشئة السياسية وأدواتها التربوية

**الأسرة:**

أهم عوامل التنشئة السياسية وأدواتها، فالأسرة هي الممثلة الأولى للثقافة، وأقوى الجماعات تأثيراً في سلوك الفرد، والوالدان هما الصورة الأولى للسلطة بشتى صورها، وتعود أهمية الأسرة في التنشئة السياسية إلى العاملين التاليين:

1) هي الوحدة الاجتماعية التي يرتبط بها الفرد طوال حياته بروابط وثيقة، ويتمثّل الطفل قيمها السياسية واتجاهاتها.

2) هي الوحدة المرجعية للفرد حيث يستمد منها هويته وكيانه ومركزه السياسي، فالأسرة تغرس في أبنائها منذ نعومة أظفارهم معاني الوطنية والتضحية والإخلاص واحترام السلطة. ويميل الأبناء إلى التأثر بالسلوك السياسي للآباء وتقمّصه، كما أنهم يميلون عادة إلى تقليد آبائهم في آرائهم السياسية ومواقفهم. كما أنّ العادات والمواقف التي يكتسبها الفرد في أوائل عمره تؤثر عليه في الفترة الباقية من حياته.

على أية حال، فإنه مهما تكن قوة تجارب الطفولة وتأثيراتها، فإنّ الافتراض القائل بضخامة أثرها لا يجيب على بعض الصعوبات التي تؤكدها الأدلة، فمثلاً هل نستطيع تفسير التغيّرات الملاحظة في أنماط السلوك السياسي للكبار.

والمثال الحديث على ذلك في بريطانيا، هو في التغيرات الحاصلة في الدعم الجزئي، والسلوك الانتخابي المرتبط بذلك والذي ظهر تأثيره على جميع فئات الأعمار والذي يصعب تفسيره بعيداً عن تعاقب الأجيال.

## المؤسسات التعليمية:

تملك جميع الأنظمة السياسية الوسائل الكفيلة لتوفير التربية اللازمة لتأمين الأهداف التي تسعى إليها، والميزة المهمة في النظام التربوي الحديث هي في ضرورة تعليم الشعب كله المعلومات والمهارات الأساسية حتى يصبح الشعب مؤهلاً للعمل والفهم بطريقة مقبولة في مجتمع صناعي معقد ويكون مقبولاً، أي يساهم في التماسك الاجتماعي والسياسي. وتصور أهمية المؤسسات التعليمية (المدرسة ـ الجامعة) إلى أنها تمثّل الخبرة الأولى المباشرة الأولى للطفل خارج الأسرة، كما تلعب دوراً حيوياً في عملية التنشئة السياسية من حيث غرس القيم والاتجاهات السياسية، ليس بطريقة تلقائية (كما في الأسرة) بل بطريقة منهجية ومنتظمة من خلال المناهج والكتب المدرسية والأنشطة المختلفة التي ينخرط فيها الطلاب.

إنّ مضمون المقررات الدراسية يؤثّر دون شكّ على التنشئة السياسية للتلاميذ، ويغرس فيهم القيم والاتجاهات التي ترغب السلطة السياسية فيها. ومن الكتب التي تهدف إلى ذلك في النظم التعليمية العربية: التربية القومية والمواد الاجتماعية (في مصر)، والدراسات الاجتماعية (في الإمارات العربية المتحدة)، وعندنا في سورية مقررات: التربية الوطنية، التربية القومية، الثقافة القومية الاشتراكية، علم الاجتماع السياسي.

كما أنّ الخبرة التعليمية للطلاب داخل الجامعة، تلعب دوراً مهماً في صقل القيم والاتجاهات السياسية التي اكتسبها الطلاب في حياتهم المدرسية، فإما أن يتم تعزيز القيم السابقة أو تطويرها وتهذيبها أو اكتساب قيم جديدة أخرى.

## المؤسسات الوسيطة (النقابات والإتحادات):

تقوم هذه المؤسسات على فكرة الدمج بين ما هو رسمي وما هو تلقائي، فأحياناً تُعبّر النقابات والإتحادات عن القيم الرسمية وتسعى إلى دعمها ومساندتها كما هو الحال في الدول ذات الحزب الواحد، وأحياناً تعبّر عن الحاجة إلى قيم أخرى جديدة كما في التعددية الحزبية والممثلة للديموقراطية.

## وسائل الإعلام:

وتضم وسائل الاتصال المختلفة من إذاعة وتلفزيون وصحف وسينما ومسرح، ولها دور مهم في نقل المعلومات إلى المواطنين، وقد حظيت هذه الوسائل باهتمام الدول كافة وخصوصاً التلفزيون لأنه أخطر وسيلة اتصال لأنه لا يتطلب معرفة بالقراءة والكتابة كما أنه يُسخَر حاستي السمع والبصر، ويقضي الفرد أمامه معظم أوقات يومه. وتعود أهمية وسائل الاتصال في نشر القيم والاتجاهات السياسية إلى تعرض جميع أفراد المجتمع تقريباً لما تبثه من برامج (زهران 1982، CONCISE 1987).

## ٧ ـ التنشئة السياسية والنمو الإنساني

إنّ التنشئة السياسية تبدأ مع بدء حياة الفرد وتنتهي بنهايته فهي عملية مستمرة ومتكاملة تستهدف زرع قيم معينة في نفوس المواطن لاكتسابه أنماطاً سلوكية سياسية معينة.

لا يختلف علماء النفس والاجتماع والسياسة حول المراحل التي تمرّ بها عملية التنشئة السياسية في كل المجتمعات، ويمكن التمييز بين المراحل الأربع التالية:

- مرحلة الطفولة وتمتد من الولادة حتى الثالثة عشرة من العمر.
- مرحلة المراهقة وتمتد ما بين الرابعة عشرة (أو الثالثة عشرة) وحتى العشرين تقريباً.
- مرحلة الشباب والرشد وتمتد بين العشرين والخمسين.
- مرحلة النضج السياسي، وهي الممتدة من الأربعين تقريباً وما بعد.

إنّ أساس التمييز هذا ليس بعدد السنوات، كما أنه لا توجد حدودٌ فاصلة بين مرحلة وأخرى، لأنها جميعها متداخلة ومتكاملة، إلاً أنّ أهم مرحلة هي مرحلة المراهقة والشباب لأنها مرحلة اكتمال النضج العقلي والانفعالي والجسمي عند الفرد.

وبسبب أهمية المراهقة والشباب سوف نتوسع في دراستها قليلاً.

### مرحلة المراهقة والشباب

هي مرحلة وسط بين الطفولة والرشد، وهي مرحلة تكوين القيم والاتجاهات ومرحلة الاستقلال والسلوك، إنها مرحلة حرجة في تكوين الاتجاهات والمعايير واكتساب القيم في قبول أو رفض ما هو قائم، وتبدأ هذه المرحلة بزيادة إمكانيات النمو الجسدي والعقلي، وتنتهي بازدياد الفرص المتاحة أمام الفرد لممارسة حقوقه السياسية وتأدية التزاماته نحو الوطن، حيث يتمتع الفرد بحقّ التوصيت والانتخاب، ويبدأ في تأدية الخدمة العسكرية، وتبدأ في هذه المرحلة عملية ذهنية معقّدة يقصد بها تحديد مدى صحة القيم والمعتقدات والاتجاهات التقليدية، ومقارنتها بالجديد من القيم والاتجاهات، ومن المتوقع أن تبدأ نواة الصراع بين القديم والجديد والتي تتبلور في المراحل التالية مرحلة الشباب وبداية الرشد، ففي هذه المرحلة تنمو القدرات العقلية نتيجة النمو الطبيعي المتعلّق باكتمال النمو الجسدي ونتيجة ما تلقاه الفرد خلال سنوات دراسته وتربيته الطويلة وما تعرض له من خبرات وفكر، بحيث يوظفها في الحكم على الأشياء بصورة منطقية.

بالإضافة للنمو العقلي يزداد الدور الاجتماعي والسياسي للفرد حيث ينتقل من مرحلة الاعتماد إلى الاستقلال والإنتاج وتحمل المسؤولية ويلعب الدور الاجتماعي بنشاط، وتبدو مشاركته في التنظيمات الاجتماعية والسياسية مستفيداً من خبراته السابقة بالمدارس والجامعات وخدمته الإلزامية، حيث نراه يشارك في العمل السياسي

بالترشيح في الهيئات النقابية المختلفة.

وتتبلور في مرحلة المراهقة وبداية الرشد النظام العقائدي وبزوغ الأفكار، حيث تترسخ القيم السياسية حول قضايا متشابهة، وتبدأ عملية بناء النظام العقائدي للفرد وهذا النظام العقائدي والفكري يحِدّد السلوك السياسي له.

والصفة البارزة في هذه المرحلة، الميل إلى التحزّب والانضمام إلى الأحزاب، حيث يميل الشباب إلى الانضمام إلى المنظمات السياسية للتعبير عن المشاركة السياسية، وبالرغم من أنّ مرحلة الشباب تقف عند أعتاب مرحلة النضج إلاّ أنّها تعبّر عن مشاعر القلق السياسي حيث كل شيء للتأمل والتدقيق.

وتعدّ مرحلة الشباب من أهم مراحل التنشئة السياسية، إذ تتحدّد خلالها مواقف الفرد السياسية، وإثارة قضايا مهمة مثل: القومية، الانتماء، الهوية، وخصوصاً بعد انطلاق الفرد من محيط المدرسة والجامعة إلى المحيط السياسي الواسع.

ويكتسب الشباب قيمهم واتجاهاتهم من خلال تعرضهم لوسائل الاتصال الجماهيري وإقدامهم على القراءة أو المطالعة، وتنقلهم واحتكاكهم بمختلف الشرائح وانضمامهم للنوادي والمنظمات الثقافية.

أمّا مرحلة النضج، فهي المرحلة التي تتميّز بالاستقرار حين دخول الفرد مرحلة الرشد، وفيها يبدو الاستقرار والثبات في الاتجاهات أو المواقف بما ينعكس، على السلوك السياسي للفرد قولاً وعملاً، ويبدو ذلك باكتمال البناء الاجتماعي والسلوك الاجتماعي للفرد وتكوينه للأسرة ورعاية أبنائه، كما أنّ الأفراد في هذه المرحلة يتولّون عدداً من المهام السياسية وذلك من خلال المشاركة في المجالس المحلية والشعبية والهيئات التشريعية، وتختلف درجة إقدام الفرد على الحياة السياسية من مجتمع إلى آخر حسب طبيعة النظام السياسي، فكلما زاد انفتاح المجتمع رأسياً كلما زاد إقبال الفرد على لعب دور ما في الحياة العامة.

من جهة أخرى، فإن وضع المرء الطبقي يحدّد إلى درجة كبيرة طبيعة الدور الذي يلعبه في الحياة السياسية وحدوده، وعلى خط السلوك السياسي الذي ينتهجه، ولهذا ينشط أولئك الذين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة والذين حصلوا على نصيب كافٍ من التعليم والثقافة وتعرضوا أكثر من غيرهم لعمليات التنشئة السياسية منذ الصغر، فهؤلاء يزيد من قدرتهم على الحراك الاجتماعي ومن قدرتهم على الصعود وممارسة سلوكهم المتفق مع قيمهم ومواقفهم السياسية.

## VI ـ النظريات والاتجاهات النفسية في تفسير التنشئة السياسية

عندما نبحث في التنشئة السياسية من منظور علم النفس الاجتماعي، فإننا نبدأ البحث بتحديد الاتجاهات والنماذج النظرية لهذا الموضوع المهم، إن الميدان قد يبدو

مربكاً وغامضاً، فبعض الباحثين يملكون اتجاهاً نظرياً في الموضوع، بينما بعضهم الآخر يملك سوء فهم أو تحيّز فيه، وبدون توجه نظري واضح للموضوع، يمكن الاعتماد عليه، ستبقى النتائج التي يتم التوصل إليها غامضة، وهناك عدة اتجاهات ونظريات في تفسير التنشئة السياسية للمراهقة والشباب، وأكثر الباحثين ينضوون تحت واحدة منها ويتبنونها في تفسيرهم للسلوك السياسي للمراهق وقيمه اتجاهاته السياسية.

وأهم هذه الاتجاهات والنظريات: نظرية التعلم الاجتماعي والسلوكية، والنظرية السوسيولوجية (الاجتماعية)، والنظرية السيكودينامية، ونظرية النمو المعرفي.

وسنتحدث باختصار عن هذه النظريات التي توضح اكتساب المراهق والشباب خصوصاً والفرد عموماً القيم والاتجاهات السلوكية السياسية.

### 1 ـ النظرية السلوكية والتعلّم الاجتماعي: Behaviorism and social learning

وهي إحدى النظريات الشائعة في علم النفس لتفسير السلوك الإنساني وتشكله، وبالرغم من أنّ هذه النظرية تتضمّن عدة اتجاهات فرعية إلاّ أنّ أكثر علماء النفس ينتمون لواحدة منها، ويفترض أصحاب هذا الاتجاه أنّ هناك نظاماً سياسياً ثابتاً يتم تنشئة الفرد من خلاله وتطبيعه به، ووفقاً لذلك، يبدأ الطفل حياته باعتباره مخلوقاً سياسياً وأنه وبالتدريج يتطبع بنموذج المؤسسات الاجتماعية الموجودة والتي يتربى فيها (الأسرة، المدارس، الجامعات، النوادي، الأقران، الإعلام، المنظمات) وهكذا فإن التشديد هو على التعلم المبكر في حياة الفرد.

ويوافق العديد من علماء النفس على هذا التفسير، ولكن مع تركيزهم على دور مرحلة المراهقة والشباب وأهميتها في التطبيع السياسي أو التنشئة السياسية.

### 2 ـ النظرية السوسيولوجية: Sociological theory

تتبنّى هذه النظرية ما يسمّى مدرسة الجيل generational school في تفسير التنشئة الاجتماعية السياسية، حيث الاهتمام بقضية الانتقال الإيديولوجي الذي يحدث بين الأجيال ويتّجه نحو النضج. ويشدد أصحاب هذه النظرية على تحديد العوامل التاريخية والقوى التي تؤثّر في الانشقاق والتنافر والصراع بين الأجيال القديمة والحديثة (الآباء والأبناء)، ولكنهم يدرسون أيضاً الفروق والاختلافات الإيديولوجية بين أفراد الجيل نفسه.

### 3 ـ النظرية السيكودينامية: Psychodynamic theory

وهي النظرية التي يتبناها أصحاب التحليل النفسي في علم النفس، حيث التشديد على أنّ الناس ينجذبون ويُفتنون بالأفكار المتنوعة والمفاهيم السياسية (الديمقراطية،

التسلطية، التحرر..) لأنّ هناك نوعاً من التناسب والتجانس بين فلسفة سياسية محدّدة وبين تكوينهم الشخصي الذاتي، مثلاً الفرد الذي يتّصف بأنه يحقّق ذاته وأنه منفتح وحيوي، سوف ينجذب ويفتتن بالقيم الديمقراطية أكثر من شخص آخر يتصف بعدم الثقة والانغلاق وعدم الأمن.

4 ـ نظرية النمو المعرفي: **Cognitive development**

وتنتمي هذه المدرسة إلى مؤسسها جان بياجيه، والكثير من علماء النفس ينتمون إليها في تفسيرهم للتنشئة السياسية، ويوافق هؤلاء على وجود عوامل وقوى متنوعة في التنشئة السياسية، ولكن الفرد من وجهة نظرهم هو الذي يتفاعل معها وليس منفعلاً بها، فالفرد بما يحمله من عمليات معرفية عقلية (إدراك ـ تذكر ـ تفكير ـ انتباه ـ معالجة وتفسير...) يعلب دوراً مهماً في اتجاهاته السياسية وقيمه وسلوكه والأفكار التي يتبناها، وخصوصاً في مرحلة المراهقة والرشد. ويعتمد بياجيه في تفسيره هذا على عمليتين: التمثل، والمؤاءمة، فالفرد الذي يحاول صنع خبرة جديدة، فإنه يشكل مدركاتها مسبقاً ويتمثل هذه الخبرات، وبعد ذلك يوائم بين خبراته الجديدة وخبراته القديمة، وقد يحدث تعديلاً فيها حتى يحدث نوع من التجانس والتناسق، فالمراهق الذي اكتسب مفاهيم واتجاهات جديدة يحاول أن يفهمها أو يعدّل فيها بحيث يصدر عنه سلوك سياسي مميّز ومتناسق (Concise 1987).

## VII ـ التنشئة السياسية في مرحلة المراهقة والشباب

## «الشباب والتفكير السياسي»

إنّ السؤال الذي يتبادر إلى الذهن مباشرة، بعد تفسير التنشئة السياسية ونظريات تكونها، هو ما إذا كانت المراهقة والشباب مرحلة مهمة وذات مغزى في نمو الاتجاه السياسي للفرد وتكوين سلوكه السياسي، وعن هذا التساؤل يتفرع العديد من الأسئلة مثل:

ـ ماكمية ما يعرفه المراهقون والشباب عن السياسة؟

ـ ما هي اتجاهاتهم ومعتقداتهم السياسية؟

ـ ما أثر القوى والمؤسسات التربوية الاجتماعية (كالمدرسة والإعلام) في تنشئة المراهق السياسية؟

ـ ما هو أثر العوامل والمتغيرات الذاتية المرتبطة بالفرد (كالجنس، والطبقة الاجتماعية والذكاء..) في التفكير السياسي للمراهق؟

ـ ما هو تأثير الخبرات الذاتية للفرد (تجاربه، ماضيه، خدمته العسكرية) في تكوين اتجاهاته السياسية؟

- ثم ما هي العلاقة بين الشخصية والسياسة في مرحلة المراهقة والشباب؟

سنحاول الإجابة عن بعض هذه الأسئلة، كما بينتها الدراسات النفسية والاجتماعية (التي أجريت في الدول الأجنبية).

- كم من المعرفة يملك المراهق عن السياسة:

لقد بيّنت بعض الدراسات السلوكية «الأجنبية» أنّ المراهقين لا يظهرون فهماً ثابتاً للموضوعات السياسية، فقد طبق لانجتون Langton اختباراً يتألف من 6 بنود على / 200/طالب في المرحلة الثانوية، يضم أمثلة كالتالية «ما عدد السنوات التي خدم فيها السيناتور الولايات المتحدة الأميركية؟».. وقد تبيّن لهذا العالم عدم دقة إجابات المراهقين ومعرفتهم عن الأحزاب السياسية، كما بيّنت العديد من الدراسات أنّ كل ما يعرفه المراهقون عن الموضوعات والقضايا السياسية، إنّما تعلّموه في مرحلة المراهقة، والناس الذين درسوا الفكر السياسي خلال طفولتهم المتأخرة وبداية المراهقة يستعملون إحدى المواد التالية في وصفه: عام، غامض، شخصي، شعوري (langton 1069).

ويوافق الباحثون على أن ما يسمى بالوعي السياسي ينمو مبكراً جداً فقد بيّن (سكولاردن) أن عدداً كبيراً من أفراد قبل المدرسة (بين 4 ـ 6) قد سمعوا أو كونوا آراء عن أمور سياسية في أميركا ولكن أصحاب الاتجاه المعرفي في علم النفس، انتهوا إلى القول بأنه فقط خلال مرحلة المراهقة، يصبح الفرد قادراً على فهم الجو السياسي، ويؤكد جرينستاين «Grenstin» ذلك أيضاً، إلاّ أنّه يميّز بين التفكير الانفعالي في السياسة، والتفكير المعرفي أيضاً، حيث يقول بأن التفكير السياسي للطفل يكون انفعالياً وجدانياً، أما في مرحلة المراهقة فيكون تفكيراً معرفياً عقلياً وليس انفعالياً ويأخذ هذا التفكير بالثبات والاستقرار مع نهاية المراهقة والشباب (Grenstin 1969).

## - اتجاهات المراهقين ومعتقداتهم السياسية:

ماذا يعرف المراهقون عن «السياسة» وكيف يصفون عمل الأجهزة السياسية؟.

يرتبط هذا التساؤل بشعور المراهقين واعتقاداتهم عن السياسة وهو ما يُسمّى بالاتجاهات السياسية Political Attitude، ويبدو وجود نوع من التناقض في الدراسات الاجتماعية التي أجريت حول هذا الموضوع، فقد يستنتج البعض من هذا، أنّنا نعتبر المراهقين أكثر مثالية في مواقفهم واتجاهاتهم السياسية، بينما يعتبر العلماء الذين ينتمون للمدرسة السلوكية (التعلم الاجتماعي) والتحليل النفسي (السابق ذكره) أنّ الانطباعات الأولى التي يكونها الأطفال عن السياسة إيجابية ولكنها تتبدل مع بلوغ الفرد مرحلة النضج أو تصبح موضوع تفكير نقدي. إن المحيط والمناخ الذي ينشأ فيه الفرد له الدور المهم، فقد استجاب عدد من المفحوصين على اختبار وضعه (هيرش)

وزملاؤه تبيَّن أن ذوي المستويات المنخفضة منهم قد أظهروا بعداً عن التعصب للأشكال السياسية، وقد نموا وهم أقل تأثراً خلال تقدمهم في السن.

## العوامل والمتغيرات الشخصية الاجتماعية وعلاقتها بالسياسة والسلوك السياسي عند المراهقين والشباب

هناك عدد من المتغيرات Variables التي تلعب دوراً مهماً في التنشئة السياسية للشباب، من هذه المتغيرات: السلالة والثقافة، الجنس والفروق بين الجنسين، الشخصية.

ـ السلالة والثقافة. فقد تبيّن في بعض الدراسات التي أُجريت في أميركا، أنّ الزنوج أكثر تشاؤماً وأقل اكتراثاً بالسياسة من أقرانهم البيض. كما أنّ المراهقين السود أقل تأثراً وتعاطفاً من البيض.

ـ المناخ السياسي. تتأثر اتجاهات المراهقين السياسية بالمناخ السياسي، وقد أكدت النظرية السيكوديناميية الاستجابات السياسية بين الولايات في أميركا.

ـ الشخصية. هناك بعض السمات في الشخصية تؤثر في اتجاهات المراهقين ومعتقداتهم السياسية، فقد تبيّن أنّ درجة تقدير المراهق لذاته، وكونه تحررياً أم تقليدياً، وسمات مثل الشعور بالنقص، ووجود صراعات لا شعورية في شخصيته، هذه كلها تؤثر في سلوكهم ومواقفهم السياسية. فالمراهقون الذين يتّصفون بأنهم أدنى تقديراً لذواتهم ويعانون من الشعور بالنقص والصراعات النفسية فإنهم أكثر شكّاً وأقل ثباتاً في مواقفهم وسلوكهم السياسي (Adelson 1980).

## المراجع العربية والأجنبية:

1 ـ بيتر غيل ويونتون (1991): **مقدمة في علم السياسية**، ترجمة د. محمد مصالحة، منشورات الجامعة الأردنية، عمان.

2 ـ كمال المنوفي (1979): التنشئة السياسية في الأدب السياسي المعاصر، **مجلة العلوم الاجتماعية**. العدد (4) السنة (6) الكويت.

3 ـ أحمد حجاج (1982): التربية والتنمية السياسية، **حولية كلية الآداب**، العدد الأول، قطر.

4 ـ د. عبد المنعم المشاط (1992): **التربية والسياسة**، الطبعة الأولى، إصدار مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية، دار سعاد الصباح.

5 ـ د. حامد زهران (1982): **علم النفس النمو**، دار الكتب، القاهرة.

6 - Joseph Adelson (1980): **Handbook of adolescent Psychology,** Awiley and sons, New york Toronto.

7 - Grenstin (1969): **Personality and Politics,** Chicago, Markham.

8 - Langton (1967): **Political Socialization.** New york, oxford, university press.